www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

ابتدئ سنة ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « وعلما » كمنار الطريق

صفر سنة ١٣٥١ هـ ق برج السرطان سنة ١٣١١ هـ ش يونيه سنة ١٩٣٢ م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكري المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

٣٠ ـ أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين

وحكمة تعددهن بعد الهجرة وفوائده

(الزوج الاولى خديجة رضي الله عنها)

تزوج (ص) وهو ابن خمس وعشرين سنة بالسيدة خديجة بنت خويلد وهي ثيب بنت أربعين سنة فعاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشرا بعدها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت عجوزاً بنت ٦٥ سنة وهو في مستوى العمر الطبيعي فقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحداً مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها ، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فاجلسها عليه فلما انصرفت سألته عائشة عنها لتعلم سبب اكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صح عن عائشة أنها غارت منها وهي لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت الا عجوزاً ابدلك الله خيراً منها ؟ ـ تعني نفسها وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها وكونه (ص) لم يتزوج بكراً غيرها و بكونها بنت صديقه الاكبر ابي بكر رضي الله عنه وعنها ـ قالت فغضب وقال « لا والله ما ابدلني الله خيراً منها : آمنت بي اذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس و واستني بمالها اذ حرمني الناس، و رزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت : فقلت في نفسي لا اذكرها بعدها بسيئة ابدا رواه بن عبد البر والدولابي

وروى الشيخان عنها انها قالت: ما غرت على احد من نساء النبي (ص) ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبي (ص) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة (أي صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة؟ فيقول « انها كانت وكانت، وكان لي منها ولد » زاد في رواية : قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وفي صحيح مسلم عنها : كان اذا ذبح الشاة قال « أرسلوها إلى أصدقاء خديجة » فذكرت له يوما فقال « إني لاحب حبيبها » وكانت خديجة أعقل العقائل، وفضلى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهي أول من آمن بالنبي (ص)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كنت سئلت عن حكمة تعدد أزواجه (ص) سنة ١٣٢٠ فأجبت جوابا نشر في المجلد الخامس من المنار ثم في الجزء الرابع من التفسير (ص ٣٧) ثم طرقت هذا البحث في فتاوى (م ٢٨) من المنار وأنا أذكرهنا معنى ماهنالك مع فوائد أخرى فأقول:

٣١

الحكمة العامة لتعدد أزواج النبي ﷺ

ان الحكمة العامة لهذا التعدد بعد الهجرة، في سن الكهولة، والقيام باعباء الرسالة، والاشتغال بسياسة البشر، ومصابرة المعادين، ومدافعة المعتدين، دون سن الشباب، وراحة البال، هي السياسة الرشيدة، وتربية الامة وضرب المثل الكامل لها في معاشرة النساء بالمعروف، والعدل بينهن، وتخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الاحكام الشرعية الخاصة بهن، مما كان (ص) يستحي أن يخاطب به النساء فيما كان يخصهن به أحيانا من مواعظه، كما كان أكثرهن يستحيين أن يسألنه عن أحكام الزوجية والجنابة والطهارة، وقد كان نساء المهاجرين أشد حياء من نساء الانصار في هذا بل كان من نساء الانصار من يهبنه أن يسألنه عما لا يستحيا منه

ومن الشواهد عنهن في ذلك ماروي عن عائشة (رض) ان امرأة من الانصار سألت النبي (ص) عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل ثم قال «خذي فرصة من مسك فتطهري بها» قالت كيف أتطهر بها؟ قال «تطهري بها» قالت كيف قال «سبحان الله تطهري» قالت عائشة فاجتذبتها الي فقلت تتبعي بها أثر الدم. وفي رواية أخرى أنه قال لها «خذي فرصة ممسكة (١) فتوضأي ثلاثا» ثم إنه صلى الله عليه وسلم استحيا وأعرض بوجهه حياء. أي منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطنة المطيبة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم اتماما للطهارة فاخذتها عائشة وأفهمتها المراد. والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن

وفي صحيح مسلم أن أسماء - وهي بنت شكل (٢) سألت النبي (ص) عن غسل المحيض فقال «تأخذ احداكن ماءها وسدرها (٣) فتطهر فتحسن الطهور

(١) الفرصة الممسكة بتثليث الفاء قطنة أوصوفة مطيبة بالمسك (٢) هي أنصارية أيضا وقيل انها الاولى نفسها. وشكل بفتح المثلثة والكاف وقيل انه محرف (٣) السدر بالكسر شجر النبق وكانوا يدقون ورق البستاني منه دون البري ويستعملونه في الغسل لانه نبات منظف كالصابون. وقوله فتطهر بفتح التاء أصله تتطهر وتحذف احدى التائين من مثله للتخفيف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » قالت أسماء وكيف اتطهر بها؟ قال «سبحان الله تطهري بها» سبح الله تعجبا من عدم فهمها المراد بالايماء والتعريض، وطلبها للتصريح به والتكشيف، ومنعه الحياء منه، حتى كفته زوجته عائشة ذلك، وقد ورد في وصفه (ص) أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها (متفق عليه)

وكان المؤمنات يسألنه عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهن في الحياء حتى كان بعضهن يشكون اليه هجر بعولتهن لهن اشتغالا بالتعبد او لغير ذلك. وكان لابد له من تعليمهن وانصافهن من بعولتهن، وكان ازواجه خير مبلغ له عنهن ولهن عنه في حياته، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته، ومن ذا الذي يقول ان زوجا واحدة كانت تقوم بهذا الواجب وحدها؟

بل كان الرجال يرجعون بعده الى امهات المؤمنين في كثير من احكام الدين ولاسيما الزوجية فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها، فكان اكثر الرواة عن عائشة اختها ام كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وابنا اخيها القاسم وعبد الله ابنا محمد بن ابي بكر، وحفصة وأسماء بنتا اخيها عبد الرحمن، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من اختها اسماء. وروى عنها غيرهم من اقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جدا ـ

كذلك كان اكثر الرواة عن حفصة اخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت عبيد وأم بشر الانصارية الخ ـ وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث ابناء اخواتها ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس ـ وأشهر الرواة عن رملة بنت ابي سفيان ابنتها حبيبة وأخواها معاوية وعنبسة وابنا اخيها وأختها

وهكذا نرى كل واحدة من امهات المؤمنين قد روى عنها علم الدين كثير من اولي قرباها ومن النساء والرجال الآخرين حتى ان صفية اليهودية كان لها ابن اخ مسلم روى عنها فيمن روى ـ فهل كان يمكن ان ينقل ذلك كله زوج واحدة يروى عنها كل من روى عن امهات المؤمنين؟ ولعل اكثر ما سمعه النساء منهن لم يصل الى الذين دونوا احاديثهن

وجملة القول أن أمهات المؤمنين التسع اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ كن كلهن معلمات ومفتيات لنساء أمته ولرجالها مالم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية، وحكم نبوية، وكن قدوة صالحة في الخير وعمل البر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٢ — ﴿ الاسباب الخاصة لكل زوج منهن بعد خديجة ﴾

﴿ ١ - سودة بنت زمعة (رض) ﴾

كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس الفرشية أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة وكان توفي عنها زوجها ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها انها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لاهليهن خوف الفتنة والتعذيب لارجاعها عن الاسلام ولو عادت إلى أهلها لاكرهوها على الشرك أوعذبوها عذاباً نكراً ليفتنوها عن الاسلام . فاختار «ص» كفالتها. وفيه تأليف لبني عبد شمس اعدائه وأعداء بني هاشم وتشريف لبني النجار أخوال عترته واكرم انصاره فان امها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار . وكانت أول من ذكر له مع عائشة فكفلها ﷺ . وقد تزوجها بمكة قبل الهجرة في عامها كما يأتي فهو لم يجمع بمكة بين زوجين بالفعل

﴿ ٢ — عائشة بنت الصديق الاكبر رضي الله عنهما ﴾

روى ابن سعد بسند مرسل رجاله ثقات وابن أبي عاصم من طريق عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون (رض) للنبي ﷺ أي رسول الله ألا تزوج؟ (١) قال «من؟ قالت إن شئت بكراً وان شئت ثيباً قال فمن البكر ؟ قالت بنت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبي بكر ، قال «ومن الثيب؟ قالت سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك قال « فاذهبي فاذكريهما علي — وفي رواية ابن سعد قالت أفلا أخطب عليك قال « بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك » قالت عائشة فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان (تعني أمها) فقالت ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة . قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت وددت لو تنتظرين أبابكر . فجاء أبو بكر فذكرت له فقال وهل تصلح له وهي بنت أخيه ؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «قولي له أنت أخي

(١) تزوج بفتح التاء والزاي وتشديد الواو أصله تتزوج

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الاسلام وابنتك تحل لي » وفى رواية ان أبا بكر هو الذي قال له هذا القول وأجابه ﷺ بهذا الجواب . ولم تكن نزلت في ذلك الوقت آية محرمات النكاح ولا آية (إنما المؤمنون اخوة)

وكانت عائشة أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن بل كانت أعلم من أكثر الرجال قال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . بل قال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الاكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة . وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه . وقال أبو الزناد ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة (بن الزبير) فقيل له: ما أرواك ! فقال: ما روايتي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت فيه شعراً

وجملة القول ان مصاهرة الرسول ﷺ لاول أصحابه وأعلامهم قدراً وإخلاصا له ونصراً، على ما كان من مودة بينهما قبل الاسلام — كانت أعظم منة ومكافأة وقرة عين له، وخير وسيلة لنشر سنته وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما النسوية . ولم يرو في الصحيح عن أحد الرجال أكثر مما روي عنها من الاحاديث إلا أبي هريرة وعبد الله ابن عمر (رض) وقد دخل بها رسول الله ﷺ في شوال من السنة الثانية للهجرة

(٣ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)

كانت حفصة زوجا لخنس بن حذافة وهو ممن شهدوا غزوة بدر وتوفي بعدها في المدينة فلما انقضت عدتها عرضها عمر على ابي بكر فسكت فعرضها على عثمان بن عفان بعد موت زوجه رقية بنت رسول الله (ص) فقال له ما اريد أن أتزوج اليوم . وانما كان يرجو ان يزوجه النبي (ص) بنته ام كلثوم . وقد ساء عمر ما كان من أبي بكر وعثمان وهما الكفؤان الكريمان لبنته فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلقي ابو بكر عمر فقال لاتجد علي فان رسول الله (ص) ذكر حفصة فلم اكن لافشي سر رسول الله (ص) ولو تركها لتزوجتها

نعم ان رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا قرة عين لصاحبه ووزيره الاول وخير مكافأة له في الدنيا علي صدقه واخلاصه فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في تشريفهما بمصاهرته، ولم يكن في الامكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حسرة في قلب عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وفاءه للاوفياء له

ويقابل ذلك اكرامه لعثمان وعلي (رض) بتزويجهما ببناته وهؤلاء الاربعة اعظم اصحابه في حياته وخلفاؤه في اقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته

(٤ - زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها)

زوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى لمولاه (عتيقه) ومتبناه زيد بن حارثة ثم زوجه الله إياها بعد طلاق زيد لها لحكمة لاتعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي ابطال بدعة التبني التي كانت متبعة في الجاهلية. وكان ذلك سنة ثلاث وقيل خمس من الهجرة

ذلك أنه كان من عادات العرب الباطلة التي اتخذت ديناً تقليدياً أنهم يتخذون لانفسهم أبناء أدعياء يلصقونهم بأنسابهم ويعطون المدعي منهم جميع حقوق الابناء حتى في المواريث ومحرمات النكاح. وما كان الاسلام ليقرهم علي باطل فحرم الله التبني وهو يعلم ما علق بالطباع والصق بالوجدان من تأثير هذا النسب المفتعل وأن إبطاله وإبطال لوازمه مما يثقل على الناس امتثاله كما هو شأن التقاليد العامة الراسخة . إلا على أصحاب الايمان الكامل والعزائم المرهفة الحد، الذين لايبالون بشعور الجماهير، ولا يرميهم لمخالفتهم بنعوت التحقير وقليل ماهم

علم الله تعالى هذا فألهم نبيه من قبل انزال وحيه عليه وارساله الى الناس مبشراً ونذيراً أن يتبنى غلاماً كان ملكاً لزوجه خديجة فوهبته له وأشرب قلبه حبه، على ما كان من كره لعادات الجاهلية الباطلة، ليجعله هو القدوة الصالحة في إبطال التبني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكل ما كان له من الاحكام، وكان هذا الغلام زيد بن حارثة . ومن زيد بن حارثة ؟

كان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من كرام العرب وكانت أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن بن طيء ،وقد زارت قومها وهو معها فأغار عليهم جيل لبني القين بن جسر فسبوه وهو غلام يفقه واحتملوه إلى عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد في الجاهلية فلما تزوجها رسول الله (ص) وهبته إياه لما رأت من اعجابه بأدبه وفطرته الزكية وكان أبوه ينشده وينشد فيه الشعر موصيا أولاده بالبحث عنه فحج ناس من قومه فرأوا زيداً بمكة فعرفوه وعرفهم وحملهم شعراً في حنينه الى قومه فبلغوا والده حارثة خبره فخرج هو وأخوه كعب بفدائه فقدما مكة فسألا عن النبي (ص) فقيل لهما هو في المسجد فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون الاسير جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك . قال وما ذاك ؟ قالوا زيد بن حارثة . فقال « أو غير ذلك : أدعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير فداء : وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء »

قالوا فدعاه فقال « هل تعرف هؤلاء » ؟ قال نعم هذا أبي وهذا عمي. قال « فانا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاختر ني أو اخترهما » فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً . أنت مني بمكان الاب والعم. فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً .

فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال « اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما . فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام . رواه ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق

وروى الحاكم خبر أسره ومجيء والده وأهله في طلبه مطولا وفيه انه كان بعد النبوة وان أباه أسلم ولكن هذه الرواية لا تصح

ومن تدبر خبر اختيار زيد بن حارثة للرق عند محمد ﷺ على الحرية عند أبيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقومه - وهو كخديجة أعلم الناس بأخلاقه وأعماله - يحكم حكما عقلياً وجدانياً بأن محمداً كان من قبل النبوة آية من أكبر آيات الله تعالى في فضائله وآدابه فكيف يكون بعدها؟ وإذا كان بعض علماء الافرنج يستدل بإيمان خديجة به وتقديسها لفضائله وفواضله من قبل البعثة على انه كان صادقا في دعوى النبوة، لا طالبا لمنفعة او رياسة - فأحر بهم أن يعدوا إيثار زيد له على حريته وأبيه وأمه وعشيرته برهانا مثل ذلك البرهان على صدقه (ص) وكماله بل أظهر منه

تضاعف حب النبي ﷺ لزيد بهذا الايثار وأعتقه وتبناه وكان التبني أعظم شيء مستطاع في تكريمه وتعظيم قدره، وقد كان يلقب بحب رسول الله ﷺ أي حبيبه وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر كان يقول: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) وفي الصحيحين عن ابن عمر انه سمع يقول: بعث رسول الله بعثا وأمر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وايم الله إن كان لخليقا للامرة وإن كان لمن أحب الناس الي وان هذا من أحب الناس الي بعده» وفي رواية لمسلم انه قال هذا على المنبر وان لفظه في زيد وابنه «وايم الله ان كان لأحب الناس الي»

وروي عن الشعبي انه قال: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا وأمره عليهم. اقول وانما طعن بعض الناس في إمارة زيد على السرايا لانه كان عتيقا فكيف يقدمه على كبراء المهاجرين والانصار؟ وأما طعنهم في إمارة ولده حارثة بعده فلانه كان صغير السن لم يبلغ العشرين. ولكن هذا من أفضل سياسته ﷺ في خفض استعلاء العصبية وكبرياء النسب (الارستقراطية)

بعد هذه المقدمة أقول لما اراد الله تعالى ان يبطل دعاية التبني وأحكامها الجاهلية امر رسوله (ص) ان يزوج زينب بنت جحش بن رباب من عمة النبي (ص) أميمة بنت عبد المطلب لزيد بن حارثة مولاه، وهو عز وجل يعلم انهما لا يتفقان على بقاء هذه الزوجية، لأنها تتكبر عليه بالطبع، وهو عزيز النفس لا يحمل ذل الكبرياء عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فذهب (ص) إلى زينب فقال « إني أريد ان ازوجك زيد بن حارثة فإني قد رضيته لك » قالت يارسول الله لكني لا ارضاه لنفسي ، وانا أيم قومي وبنت عمتك فلم اكن لافعل . فنزلت الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

فقالت زينب للنبي (ص) قد اطعتك فاصنع ماشئت . فزوجها زيدا ودخل عليها فكانت تغلظ له القول وتتعظم عليه بالشرف فيذهب الى النبي (ص) شاكيا منها ويستأذنه في طلاقها فيقول له (ص) أمسك عليك زوجك واتق الله . وهو يعلم أنه لابد له من طلاقها وان الله يأمره بالتزوج بها بعده ابطالا لبدعة التبني وماكان من تحريم الجاهلية لامرأة الدعي كامرأة الابن الحقيقي ، ولكنه (ص) لم يكن يظهر هذا له ولا لغيره ، وكان بمقتضى الشعور الطبيعي يخشى مايقوله الناس ولاسيما المشركين : ان محمدا تزوج امرأة ابنه . فانزل الله تعالى في ذلك قوله

(٣٣ : ٣٧ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أي واذكر أيها الرسول اذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام ، وانعمت عليه بالعتق والاكرام ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في معاشرتها بالمعروف ولا تطلقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ ان يقولوا تزوج امرأة ابنه اومتبناه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ولا تبالي بما يقول الناس في تنفيذك لشرعه واقامتك لدينه ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الوطر الحاجة المهمة او التي ليس بعدها مأرب . وقضاؤه إياه عبارة عن تطليقها بمحض ارادته ورغبته لانه لم يبق له حاجة فيها ولا رجاء في معاشرتها بالمعروف . وتنكير الوطر هنا دون اضافته الى زيد للدلالة على انه شيء اراده الله تعالى منه وسخره له ، وهذا من دقائق البلاغة في تحديد المعاني باللفظ المفرد النكرة ، وقوله تعالى (زوجناكها) نص في ان هذا التزويج كان من الله تعالى لما ذكر من حكمة التشريع فيه ولم يكن برغبة النبي (ص) وميله .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد صح أنه (ص) لم يعقد عليها كما عقد على سائر ازواجه لأن تزويج ربه اياه بها اقوي وأثبت. والعقد بعده لغو لأنه تحصيل حاصل

ثم قال ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وهو تصريح بعلة تزويجه اياها أي لاجل ان لا يجد أحد من المؤمنين في نفسه أدنى ضيق صدر ولا مبالاة بلوم في التزوج بنساء ادعيائهم بالتبنى وكفى برسول الله (ص) قدوة في ذلك ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فطلقوهن بارادتهم لعدم بقاء شيء من الرغبة لهم فيهن كما فعل زيد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ اي وكان قضاؤه في التكوين والتشريع نافذا لامرد له ولا رأي لاحد فيه

ثم اكد الله تعالى هذا الامر برفع الحرج عن النبي (ص) فيه لانه هو الذي قضاه واختاره له فما كان له ان يختار لنفسه غيره، ولا ان يخشي غير الله في تنفيذه وان تلك سنته تعالى في رسله بما يبلغون من رسالته وينفذون من احكامه ويخشونه ولا يخشون غيره فقال

﴿(٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

أي ما كان عليه ﷺ وهو نبي الله ورسوله أدنى حرج وضيق فيما فرضه وقسمه الله من مثل هذا الزواج من التشريع وتنفيذ الاحكام وفاقاً لسنته تعالى في اخوانه النبيين الذين خلوا من قبله، وكان أمر الله الذي يريده من إقامة شرعه يجري على حكم القدر وهو النظام والتقدير الذي يكون به المسبب على قدر السبب، والمعلول تابعاً للعلة، كما وقع إبطال التبني. ولما كان هذا من تبليغ الرسالة الالهية كان من شأن رسل الله أن يخشوا الله ولا يخشوا أحداً غيره في تبليغ رسالته، وكفى بالله رقيباً عليهم ومحاسباً لهم فلا يبالون بغيره

وقفى على هذا بنفي أبوة محمد (ص) لزيد ولغيره والرد على من قالوا انه تزوج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حليلة ابنه ، كما رواه الترمذي عن عائشة ـ تأكيداً لما بينه في أول السورة من نفي بنوة الادعياء والامر بنسبتهم إلى آبائهم أو وصفهم باخوة الدين وولاية العتق فقال

(٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

﴿ فرية لبعض الرواة في تفسير : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾

لقد كان من مثار العجب ، وغرائب سفاه العقل وسوء الأدب ، أن خطر لبعض وضاع الاحاديث ، وصناع الروايات في التفسير . أن يحرف هذه الآيات الجلية كلها عن مواضعها ، ويحملها على غرض ينأى عنه منطوقها ، ويتبرأ منه مفهومها ، وتأباه حكمة التشريع فيها ، ويستلزم الطعن بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والنيل من خلق رسول الله وأدبه ، الذي قال الله له فيه (وانك لعلى خلق عظيم) فاخترع لها خبرا زعم فيه أن النبي ﷺ مر ببيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقع في قلبه منها شيء فقال «سبحان مقلب القلوب» فسمعت التسبيحة زينب فنقلتها إلى زيد فوقع في قلبه أن يطلقها ، فكان هذا سببا لاستئذانه النبي ﷺ في طلاقها ، وزعموا أن هذا هو المراد من قول الله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وهذه الرواية لم يثبت لها سند وإنما نقلها بعض المفسرين كعادتهم في نقل كل ما يسمعون وقد صرح بتلفيقها المحققون لانها مخالفة للآيات الصريحة المحكمة من جهات كثيرة ، ومنافية للعقول المستقلة في الفهم والحكم أيضاً فان تزويج النبي ﷺ زينب لمولاه ، وحبه وربيبه ومتبناه ، يكون بحسب الطباع الكريمة مانعاً من الميل الى التزوج بها ، وناهيك بما اجتهد به من اقناعها . وهو يعرفها من صغرها ، وهذا إذا كان تزويجه لها تزويجا عاديا ليكونا زوجين ما بقيا ، فكيف وهو (ص) يعلم أنه تزويج موقت بالنسبة الى عاقبته وغايته التي يجهلها كل منهما . ثم انه على حسب زعمهم أمر وقع في نفسه ، وتنسمته زينب بالقرينة من تسبيحه ، ولفظ ذلك التسبيح لا يدل عليه ، ولم يعلم به الناس فيخشى أن يخوضوا فيه ، ويعاتبه ربه على خشيته اياهم وينزل ذلك في قرآنا يتلى ويتعبد به ، ثم ان زيدا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان يعلم بمعاشرته له من سن الصبا أن نفسه أجل وأكبر من أن يلم بها ذلك . وان كان لا ينافي عصمة النبوة . ولولا هذا العلم بعلو نفسه وسمو فضائله لما أثر الرق عنده على الحرية عند والده وفي قومه ، وقد أبى الحافظ ابن كثير ذكر هذه الرواية السخيفة في تفسيره لتجنبه رواية الموضوعات ، وذكر الاباطيل الواضحة فيه ، وان كان ينقل الاحاديث الضعيفة المقبولة أحيانا . وشنع ابن العربي وغيره على ناقليها

لولا أن دعاة النصرانية يذكرون هذه الفرية في كل كتاب يلفقونه في الطعن على الاسلام والنيل من مصلح البشر ، وأفضل النبيين والرسل ، لما ذكرتها في هذه الرسالة الوجيزة ، وان لشيخنا الاستاذ الامام مقالة خاصة في تفنيدها بالمعقول والمنقول ولي مقالة أخرى في ايضاح مقالته والرد على أديب نصراني انتقدها ، وقد نشرتها في المجلد الثالث من المنار وطبعتهما مع تفسير الفاتحة وبعض مشكلات القرآن

ولو كان عند هؤلاء الدعاة (المبشرين) عرق حياء ينبض لنعهم الجذع الكبير الذي في أعينهم عن رؤية قذاة ضئيلة في عين غيرهم أي لمنعتهم قصة داود النبي الذين يصلون ويعبدون الله بمزاميره مع امرأة أوريا الحثي اذ رآها كما يروي كتابهم المقدس تغتسل فأعجبته فاستحضرها وضاجعها فحملت وأمر بجعل زوجها في مقدمة الحرب وتعريضه للقتل فقتل لينفرد بها من دونه ، كما هو مفصل في الفصل ١١ من سفر صموئيل الثاني ، والمسلمون يبرؤن نبي الله داود عليه السلام مما ترويه عنه كتب قومه المقدسة عندهم وعند النصارى ، وقصة داود في سورة (ص) لا تدل على اقترافه الفاحشة وجريمة القتل إرضاء للشهوة . حاشاه من ذلك

﴿ ٥ — هند أم سلمة المخزومية رضي الله عنها ﴾

هي هند أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين وتزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وهو من السابقين الاولين الى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفس وهو ابن عمة رسول الله (ص) وأخوه من الرضاعة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك . ثم عاد إلى مكة ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة صدها قومها وانتزعوها منه هي وابنها سلمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم انتزع بنو عبد الاسد آل زوجها ابنها سلمة من آلها بالقوة حتى خلعوا يده، فكانت كل يوم تخرج الى الابطح تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت(١) بعيراً ووضعت ابنها في حجرها وهاجرت عليه، فكانت أول امرأة هاجرت الى الحبشة، ثم كانت أول ظعينة هاجرت الى المدينة. وكانت تجل زوجها أيما اجلال حتى ان أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» ففالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة ؟ فلم يرها عزاء ولا كافلا لها ولاولادها ترضاه غيره صلوات الله تعالى عليه وعلى آله، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة، فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سناً وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الايتام الى الله ورسوله. فاجتمع لها من الفضائل النسب الشريف، والبيت الكريم، والسبق الى الاسلام وعلو الاخلاق ولاسيما الوفاء وكفالة الايتام وكل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق لهذه المرأة الفضلى ان تكون من أزواجه الطاهرات، وامهات المؤمنين ومعلمات المؤمنات.

على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي جودة الفكر وصحة الرأي، وحسبك من الشواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أهم ما حزنه وأهمه من أمر المسلمين في مدة البعثة، وما أشارت به عليه. ذاك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءهم صلح الحديبية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا مغلوبين وانما حبه ﷺ للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين - وكان دونه خرط القتاد - وكراهته للحرب التي اكرهه المشركون عليها بعدوانهم - هما اللذان حببا اليه قبول شروطهم لهم في الصلح، وكان من أثر استياء المسلمين من شروطهم أن أمرهم ﷺ بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير لاجل العود الى المدينة فلم يمتثل أمره أحد، ولم يقع مثل هذه المخالفة من قبل ولا من بعد، فلما استشارها رضي الله عنها في ذلك وقال

١) رحلته بتشديد الحاء جعلته راحلة تركب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه ، وجزمت بأنهم لا يلبثون أن يقتدوا به ، لانهم يعلمون أنه صار أمراً لا مرد له ، ولان تأثير العمل في القدوة أقوى من تأثير القول وحده ـ وكذلك كان : خرج فامر الحلاق يحلق رأسه ، فتنافسوا في التبرك بشعره ، وبادروا الى الاقتداء به ، وكانت من اعلم ازواجه ، وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية والعلم وتفضلها في الرواية والرأي

﴿ ٦ — جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ﴾

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسماها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع ، ثم بلغ النبي (ص) أنه يجمع الجموع لقتاله فخرج له فالتقى الجمعان في المريسيع وهو ماء لخزاعة ، فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الاسرى فكاتب عليها من وقعت في سهمه «١» فجاءت النبي (ص) فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت له سبيها ، واستعانته على كتابتها لتحرير نفسها ، فقال « أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » قالت نعم ففعل ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله (ص) فأعتقوا جميع الاسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت اعظم امرأة بركة على قومها ، وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها ، وروي أن أباها جاء النبي (ص) فقال ان فتى لا يسبى مثلها فخل سبيلها ، فأمره (ص) أن يخيرها فسر بذلك فخيرها فاختارت الله ورسوله ، وكانت من أعبد أمهات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد بن السباق وابن أختها الطفيل وغيرهم

﴿ ٧ — صفية بنت حيي الاسرائيلية رضي الله عنها ﴾

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حيي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام ، كانت من بني النضير وأسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ، فأخذها دحية في سهمه ، فقال أهل الرأي من الصحابة يا رسول الله

---

١) الكتابة اشتراء الرقيق نفسه من سيده بمال يؤديه ولو أقساطا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها، فاصطفاها وأعتقها وتزوجها - كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سببه ببني اسرائيل لعله يخفف مما كان من عداوتهم له، وروى الامام أحمد أنه خيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته. وكان بلال قد مر بها وبابنة عم لها على قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال له النبي (ص) « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟ رواه ابن اسحاق. وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله منها فذكرت ذلك للنبي «ص» فقال « ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى » ؟ وقد لقبها زينب مرة باليهودية احتقارا لها فهجرها النبي «ص» شهراً كاملا عقوبة لها فتأمل هذه الشمائل المحمدية والتربية الاسلامية روى عنها ان أخيها ومولياً لها وعلي بن الحسن بن علي عليهم السلام وغيرهم

﴿ ٨ -- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموية رضي الله عنها ﴾

وفي سنة ست او سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي اشد أعدائه تحريضاً عليه وحرباً له (ص) وكان قومه بنو عبد شمس أعداء بني هاشم قوم النبي «ص» وكان تزوجه بها تأليفا له ولقومه وقد كانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش الى الحبشة، فتنصر زوجها هنالك وفارقها، فأرسل النبي (ص) الى النجاشي فخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة: ولما عادت الى المدينة بنى بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال هو الفحل لا يقدع أنفه. فهو لم ينكر كفاءته «ص» بل افتخر به. ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه «ص» له يوم الفتح أن قال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ رياء وتقية ثم كان من تأليفه له «ص» بعد غزوة حنين ان أعطاه من غنيمة هوازن مائة ناقة، فهذا التأليف بعد التأليف لابي سفيان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدل على تزوجه «ص» بنته كان لمثل ذلك على أن تركها أرملة مهينة بعد مصابها بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأمها لم يكن يهون على رسول الله « ص » روى عنها ابنتها وأخواها وابن أخيها او ابن أختها ومولياها وآخرون

﴿ ٩ — ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ﴾

وفي أواخر سنة سبع تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسمها برة فسماها ميمونة . وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات المؤمنين زواجا وموتا كما في بعض الروايات، وقد قالت فيها عائشة أما انها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم، ولم أقف على سبب ولا حكمة خاصة لتزوجه بها ولكن ورد أن عمه العباس رغبه فيها وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد له عليها باذنها ، ولولا أن العباس رأى في ذلك مصلحة عظيمة لما عني به كل هذه العناية لارضاء امرأته، روى عنها أبناء اخواتها ومواليهم وآخرون أجلهم ابن عباس

وجملة القول انه «ص» راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الارامل والايتام، فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن والعدل بينهن وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام مايليق بهن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الامة غناء التسع

ولو كان «ص» أراد بتعدد الزواج مايريده الملوك والامراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الابكار على أو ثك الثيبات المكتهلات منهن كما قال لمن استشاره في التزوج بأمرأة ثيب « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » وفي رواية زيادة « وتضاحكها وتضاحكك » وهو من حديث جابر في الصحيحين

وأذكر القاريء بأن تعدد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات لكثرة القتلى من الرجال وحاجة نسائهم الى من يكفلهن لان أكثر أهلهن من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشركين. فالمصلحة فيه للنساء لا للرجال إما بالكفالة والنفقة وإما بالشرف والتكرمة ولذلك كن يسمين أو يسمى الآباء أو غيرهن من الاقربين لمن يقتل زوجها أو يموت بكفؤ يتزوجها وان كان له زوج أو أزواج غيرها كما فعل عمر بعرض بنته حفصة على أبي بكر وعثمان

وأما النبي (ص) فكان النساء يعرضن أنفسهن عليه كما يعرضهن بعض أولي القربى منهن وسيأتي بعض الروايات في ذلك فهل يتصور أحد أن تعدد الزوجات كان في ذلك العهد هضما لحقوقهن، وقد أعطاهن الاسلام من الحقوق والتكريم ما أعطاهن؟ وناهيك بشرف التزوج برسول الله (ص) وسيأتي ما يؤيد ذلك كله

٣٣

﴿ سيرة النبي ﷺ في معاشرة نسائه ﴾

كان رسول الله (ص) المثل الكامل والاسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرة أزواجه بالمعروف، والقسمة بينهن بالعدل في كل من المبيت والنفقة واللطف والتكريم، وفي احتمال غضبهن وغيرتهن وتنازعهن بالأناة والرفق والموعظة الحسنة. وكان يزورهن كلهن صباحا للوعظ والتعليم ومساء للمجاملة والمؤانسة، وكن يجتمعن معه في بيت كل منهن. وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده. قالت عائشة: ما ضرب رسول الله (ص) بيده امرأة له ولا خادما قط (١) وسئلت: ما كان النبي (ص) يصنع في أهله؟ قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة (٢) ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه. ومن وصفها له: كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم إلا انه كان بساما (٣)

وكان (ص) إذا أراد السفر ضرب القرعة بينهن إذ لا يمكن السفر بهن كلهن، وترجيح إحداهن يسخط سائرهن، وإن كان فيها من المرجحات ما يقتضي الترجيح إذ لا يتساوى النساء في استعدادهن للسفر ومشقاته. ولكنه لما حج أخذهن كلهن معه

ولما مرض مرضه الاخير شق عليه أن يتنقل بين بيوتهن كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل «أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟» يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه كلهن أن يكون حيث شاء، فاختار بيت عائشة وفيه توفي (٤)

---

(١) رواه النسائي وله تتمة (٢) رواه البخاري والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة (٣) رواه ابن سعد (٤) رواه البخاري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروي عنها أنه بعث في مرضه الى نسائه فاجتمعن فقال « اني لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذنّ له (١) ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها وقد كان صرح بأنه يدفن حيث يموت

ولما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبغي رضاء رسول الله «ص» عنها(٢) وفي رواية عنها : كان رسول الله (ص) لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها . ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت (أي خافت) أن يفارقها رسول الله «ص» يا رسول الله يومي لعائشة . فقبل رسول الله ذلك منها (٣)

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما من قلب رسول الله «ص» ما لم يكن لأحد من نسائه بعد خديجة « رض » فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثر من إدلالا عليه . وفي الصحيحين عنها قالت قال لي رسول الله ص) « اني لأعلم إذا كنت راضية عني وإذا كنت علي غضبى » فقلت من أين تعرف ذلك ؟ قال « أما إذا كنت عني راضية فانك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت لا ورب ابراهيم » قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك

وكان هذا الحب الطبعي الذي تعددت أسبابه أعظم دليل على عدله « ص » بين أزواجه، فهو لم يكن يفضلها على أقلهن مزايا في الخلق والخلق والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو الميت أو حسن العشرة ، ولذلك كان يقول في قسمه بينهن بالعدل « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » (٤) يعني الحب ولوازمه الطبيعية غير الاختيارية. وما ابتلي الرجال بشيء ابث على الجور والمحاباة كفتنة حب النساء فان الرجل الضعيف الدين والارادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضرتها ؟

(١) رواه ابوداود (٢) رواه الشيخان واصحاب السنن

(٣) رواه احمد واصحاب السنن وفيه زيادة رأي عائشة انه نزل في هذه واشباهها (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) وقد تقدم . وفي رواية عند ابن سعد أنه فارقها فناشدته ان يمسكها وقالت انه ليس لها في الرجال حاجة وانما تريد ان تكون معه في الجنة . ولكن هذه الرواية مرسلة (٤) رواه ابن ابي شيبة واصحاب السنن الاربعة وابن المنذر عنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٤

تغاير نسائه ﷺ وتحزبهن ومناشدتهن إياه العدل

لما كان من طباع البشر أن العدل ينهم بغريهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم، والظلم يسكتهم على مادونها ولا سيما النساء، ورأى نساء النبي (ص) أنه لا يفضل إحداهن على غيرها بشيء ما إلا أن الناس يتحرون بهداياهم له يوم عائشة رأين أن في هذا هضما لحقوقهن وكرامتهن، وإن كان هذا الهضم ليس من فعله ﷺ وكان ينالهن من الهدايا كلهن، فطالبنه بانصافهن، وأغلظن في المطالبة وألححن حتى أسكتهن بما يكرهن

قالت عائشة : ان نساء رسول الله (ص) كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة . والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي (ص) وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله «ص» عائشة فاذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله «ص» أخرها حتى اذا كان رسول الله (ص) في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله (ص) في بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة (أم سلمة) فقلن لها كلمي رسول الله (ص) يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ص) هدية فليهدها اليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئا، فسألنها فقالت ما قال لي شيئا، فقلن لها كلميه قالت فكلمته حين دار اليها أيضا فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار اليها فكلمته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة . قالت فقلت أتوب الى الله من أذاك يا رسول الله . ثم انهن دعون فاطمة بنت رسول الله «ص» فأرسلت الى رسول الله «ص» تقول ان نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال « يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ » قالت بلى، فرجعت اليهن فأخبرتهن . فقلن ارجعي اليه فأبت أن ترجع . فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت ان نساءك ينشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها، حتى ان رسول الله لينظر الى عائشة هل تكلم؟ فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت : فنظر النبي «ص» الى عائشة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال « انها بنت أبي بكر » (١) يعني انها مثل أبيها في الذكاء والعقل والحجة »

ورواية مسلم منها : أرسل ازواج النبي (ص) فاطمة بنت رسول الله «ص» الى رسول الله «ص» فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت يارسول الله ان أزواجك أرسلنني اليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة - وأنا ساكتة - فقال لها رسول الله (ص) «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟» قالت بلى قال « فأحبي هذه» فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله «ص» فرجعت الى أزواج رسول الله «ص» فأخبرتهن بالذي قال رسول الله «ص» فقلن ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي الى رسول الله «ص» فقولي له ان أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبداً (قالت) فأرسل أزواج النبي «ص» زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند النبي (ص) ولم أر قط امرأة خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به الى الله تعالى ما عدا سورة من حدة فيها كانت تسرع منها الفيئة (أي الرجعة الى الحلم) الخ

ولها مع زينب مهاترة أخرى ذكرها انس ملخصها ان نساء النبي كن يجتمعن كل ليلة في بيت صاحبة النوبة منهن فدخلت زينب بيت عائشة فمد اليها النبي ﷺ يده فقالت عائشة أنها زينب فكف النبي (ص) يده فتقاولتا حتى ارتفعت أصواتهما فمر أبو بكر فسمعهما فقال يارسول الله أحث في أفواههن التراب وجاءت الصلاة فخرج «ص» ولم يكلمها ولكن أبا بكر عاد بعد الصلاة فنتف عائشة (٢) وهو المشهور بالحلم، وأين حلمه من حلم رسول الله ﷺ ؟

٣٥

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها

الغيرة الزوجية غريزة أو عاطفة في الرجال والنساء وهي فيهن أشد ولا سيما إذا تعددن عند الرجل وكان يحابي بعضهن على بعض . ولئن كان أزواج النبي (ص) كلهن يغرن

(١) رواه البخاري ومسلم . وقوله هل تكلم بفتح التاء اصله تتكلم فخفف (٢) رواه مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من عائشة لهن بأنها أحب اليه ، فلهي كانت أشدهن غيرة عليه ، حتى كانت تغار من خديجة زوجه قبلها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ما ترى من عدله ومساواته بين نسائه تطيع ما يوسوس اليها الشيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنه يذهب إلى غيرها، حتى نبعته مرة من حيث لا يشعر فاذا هو قد ذهب الى البقيع (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء قالت فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول الله ﷺ فقال « ماهذا النفس ياعائشة؟ فقالت بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت انك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع فقال «ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله »(١) وخرج مرة قالت فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه فجاء فرأى ما أصنع فقال « أغرت؟ فقلت ومثلي لا يغار على مثلك؟ فقال « لقد جاءك شيطانك » قلت أومعي شيطان ؟ قال « نعم » قلت ومع كل انسان ؟ قال « نعم » قلت ومعك قال « نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم » (٢) يعني انني أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشر

وقالت ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، صنعت لرسول الله (ص) طعاما وهو في بيتي فاحذني أفكل (هو بالفتح الرعدة والقشعريرة) فرتعدت من شدة الغيرة فكسرت الاناء ثم ندمت. فقلت يارسول الله : ما كفارة ما صنعت ؟ قال « اناء مثل اناء وطعام مثل طعام »(٣ وقالت عيب صفية لتغيرها منها : يارسول الله حسبك من صفية قصرها ! فقال لها « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »(٤) أي إن كلمتها في قبحها وخبثها لو ألقيت في البحر لأثرت فيه كله وخبث بها

٣٦

تواطؤ ازواجه وتظاهرهن على الكيد له ﷺ

شرب مرة عسلا عند زينب فكان أهدي اليها وكان يحبه فأغرت عائشة بعض نسائه فتظاهرن على الكيد له حتى لا يعود الى شرب العسل عندها بأن تواطأن على أن يقلن

(١) رواه البيهقي (٢) رواه مسلم عنها وعن ابن مسعود بلفظ آخر (٣) رواه ابو داود والنسائي (٤) رواه ابو داود والترمذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رائحته مما شرب فتعان، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة فامتنع من شرب ذلك العسل عندها وحرمه على نفسه فلما علم بكيدهن وكذبهن عليه غضب عليهن كما (١)

وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية وكان سببه غضب حفصة لاجتماعه بها في بيتها فاسترضاها بتحريمها عليه وأمرها أن تكتم الخبر فأفشته لعائشة . وروي أنه أسر إليها حديثاً آخر في مسألة الخلافة وتظاهرتا - أي تعاونتا - عليه في ذلك وفيهما نزل قوله تعالى معاتبا له ومنذرا لهن

(١:٦٦) يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (٢) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم (٣) وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (٤) إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير (٥) عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا

حاصل معنى الآيات أنه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبالغ في مرضاة أزواجك فتبلغ منها أن تحرم لأجلهن ما أحل الله لك، والله غفور رحيم غفر لك هذه فلا تعودن إلى مثلها. وان الله قد شرع لكم كفارة أيمانكم ومنها يمين تحريم المرأة او الامة ، فهو كالحلف بالله تعالى (أي يكفره إطعام عشرة مساكين مرة واحدة أو كسوة كل منهم ثوبا أو عتق رقبة فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخير فيها فصيام ثلاثة أيام) والله هو العليم بأفعالكم ونياتكم فيما الحكيم بما يشرعه لكم فيما يعرض لكم من مقتضى

(١) رواه الشيخان وغيرهما وروي تعدد هذه القصة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطباع البشرية فيربيكم به ويزكيكم . ثم ذكر ذنب التي أفشت سره (ص) وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة — وأرشدها هي والتي أفشت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبهما وما صغت أي مالت اليه قلوبهما ووافق أهواءهما من تلك الواقعة ، وأنذرهما ان أصرتا على التظاهر أي التعاون والتمالؤ على الرسول (ص) بان الله هو مولاه الذي ينصره ويتولاه في كل أمر وكذلك جبريل وصالحو المؤمنين والمراد بهم هنا أبواها أبوبكر وعمر (رض) والملائكة بعد ذلك كله يظاهرونه ويؤيدونه «ص» ثم هددهما بأن الرسول إذا طلقهما وسائر أزواجه المتحزبات عليه فان الله يبدله خيراً منهن في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الكمال ، ولو كان «ص» يهمه التمتع الجسدي لوصف الله البدل بصفات الحسن والجمال ، ولكنه لم يكن يحفل به ، ولو لم يكن نقصاً في نفسه

٣٧

(غضبه ﷺ على ازواجه وايلاؤه منهن شهرا)

(فتخييره إياهن بين الطلاق وبقاء الزوجية المرضية لله ولرسوله)

علمنا من الشواهد الصحيحة التي رويناها في حسن عشرة النبي «ص» لازواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف ، وصبر على تغاير هن وائتمارهن ، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ولا سيما المهاجرين في ذلك — علمنا انه آل أمر من الى الائتمار بينهن والتظاهر عليه واستباحة الكذب وإفشاء السر ، وكذلك يكن أسوة سيئة لنساء المؤمنين ، على خلاف ما يراد من تربية الرسول لهن ليكن قدوة صالحة لهن ، وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال إذ زادت جرأتهن عليهم بتأثير ما أعطاهن الاسلام من الحقوق وما أوصى بهن النبي « ص » من التكريم حتى انه قد اجتمع عند نسائه « ص » مرة سبعون امرأة كل تشكو زوجها — فلما انتهى نساؤه معه الى هذا الحد مع العدل الكامل ، واللطف الشامل ، غضب غضبة الحليم ، وحلف أن لا يقربهن شهراً ، واعتزلهن كلهن تربية لهن ، ولا تتم التربية إلا بوضع الحلم في موضعه والغضب في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موضعه - وانني أستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلفه هذا بما فيه زيادة البيان، لما كان عليه حال النساء في أول الاسلام ، وأبدأ بسياق مسلم فأقول

روى مسلم في صحيحه ان عبد الله بن عباس قال : مكثت سنة وانا أريد ان اسأل عمر بن الخطاب عن آية فما استطيع أن اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه؟ فقال تلك حفصة وعائشة، قال فقلت له والله إن كنت لأريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك، قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك (قال) وقال عمر والله ان كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم قال فبينا انا في أمر أأتمره إذ قالت لي امرأتي لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها ومالك أنت ولما ههنا ؟ وما تكلفك في امر أريده ؟ فقالت لي عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد ان تراجع انت وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ، قال عمر فآخذ ردائي ثم اخرج من مكاني حتى ادخل على حفصة ، فقلت لها يا بنية انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة والله انا لنراجعه، فقلت تعلمين اني احذرك عقوبة الله وغضب رسوله؟ يا بنية لا يغرنك هذه التي قد اعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها. ثم خرجت حتى ادخل على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي أم سلمة عجبا لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه ؟ قال فاخذتني اخذا كسرتني عن بعض ما كنت اجد (١ فخرجت من عندها (هذه مقدمة مسلم لحديث عمر وأذكر تتمته من رواية البخاري عنه)

(١) اي كسرت ما اجده في نفسي ودفعتني عنه حتى لم أقله لها وفي رواية لابن سعد انها قالت له : اي والله انا لنكلمه فان تعمل ذلك فهو اولى به وان نهانا عنه كان احب عندنا منك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قال) ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي (ص) فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء (١) فلما قدمنا على الانصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار، فصخبت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعك فو الله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن، ثم جمعت علي ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي (ص) اليوم حتى الليل؟ قالت نعم فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله (ص) فتهلكي، لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة -

قال عمر وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضربا شديداً وقال أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت ما هو أجاء غسان؟ قال لا: بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، فقلت خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له (٣) فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فاذا هي تبكي، فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا؟

---

(١) وفي رواية: كنا ونحن بمكة لا يكلم احدنا امرأته الا اذا كانت له حاجة... وفي رواية: كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في امورنا. هذا وقد قال النبي (ص): «خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش: احناه على ولد (وفي رواية يتيم) في صغره وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم وتذكير الفعل وافراده فيه مسموع.

(٢) اي لا تطلبي منه الشيء الكثير (٣) المشربة بضم الراء الغرفة او العلية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أطلق كن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت لا أدري هاهو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر فدخل الغلام ثم كلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر ، فدخل ثم رجع فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت . فلما وليت منصرفا (قال) إذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير(١) ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يارسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال «لا» فقلت الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم أستأنس يارسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت يارسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يريد عائشة) فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة (٢) فقلت يارسول ادع الله فليوسع على أمتك فان فارساً والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله (٣) فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان

(١) وفي رواية رمال سرير والرمال اسم لضلوع الحصير التي ينسج بها فتكون معه داخلة كالخيوط في الثوب (٢) الاهبة بفتحتين وبضمتين ايضا الجلود مدبوغة أولا . واحدها إهاب (٣) وفي رواية فبكيت فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت ومالي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى وذلك قيصر وكسرى في الانهار والثمار وانت رسول الله وصفوته . واما الذي رآه في خزانته فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة. والقرظ حب شجر يدبغ به الجلود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منكنا فقال «أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت يا رسول الله استغفر لي. فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال «ما أنا بداخل شهرا» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى، قالت عائشة ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة

اتفقت الروايات على أن تخيير النبي «ص» أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمته على الوجه الذي يريده منهن وهو أن يكن قدوة صالحة للنساء في الدين كان بعد حادثة غضبه وهجره لهن شهرا ثم رضاه عنهن، وقد صح أنه حدث في أثناء ذلك سبب آخر للتخيير وهو إلحاحهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة

٣٨

مطالبة ازواجه ﷺ إياه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النبي «ص» أن يعيش مع نسائه عيشة الترف والنعمة، وأن يمتعهن بما أحببن من اللباس والحلي والزينة، بما كان له من الحق في خمس الغنيمة، ومنها غنائم بني النضير ثم بما كان له من الأرض في خيبر، وكانت غاية توسعته عليهن اعطاؤهن مؤنة سنة كاملة من التمر والشعير الذي كان يتخذ منه الخبز في الغالب وكان ربما يتصدق ببعض ما آتاهن أو به كله إذا وجد من هو أحوج اليه من الفقراء، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة هلا أبقيت لنا قطعة منها نفطر عليها فقال « لو ذكرتيني لفعلت » وقد وقع لها بعده مثل ذلك بعينه فقالت لها مولاة لها كما قالت للنبي (ص) وأجابتها بما أجابها به: فهذه هي التربية المحمدية لأمهات المؤمنين، ولو اتبع أهواءهن في الترف والزينة والأمة في طور التأسيس، لعد من فضائل الدين — على ذم القرآن للمترفين المسرفين

ولقد بشر النبي « ص » أصحابه بفتح بلاد الشام والفرس ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقيصر والسيادة فيها وفي غيرها من الأرض، وحذرهم من الاسراف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيما أباح الله لهم في كتابه من الزينة والطيبات. وقال « ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »(١) ومن هذه الفتنة انهن الداعيات الى الاسراف في النفقة والزينة. فلما أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجا منه بتخيير هن بين بقائهن على عصمته إيثاراً لحظ الآخرة، وبين تمتيعه لهن بما يطلبن مع طلاقه لهن وتسريحه لهن باحسان إيثاراً منهن لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فلو أن نساءه صلى الله عليه وسلم غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد ولما استطاع الرجال صرفهن عنه، ولما قامت للامة قائمة، فان الاسراف في الترف والزينة يهلك الامم الغنية فكيف تقوى به الامم الفقيرة؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لفساد البشر وظلمهم بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة؟

وإنما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة، بدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة، والغرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية كما انه هو القدوة العليا والاسوة الحسنى للامة كلها في معاملة النساء وفي سائر الامور، وملاك ذلك كله إيثار سعادة الآخرة على متاع الدنيا

٣٩

تخييره ﷺ لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنه كان لهذا التخيير سببان (أحدهما) غضبه وموجدته عليهن فيما كان من تظاهرهن عليه وقد ذكرنا أصح الروايات فيه. وأما السبب الاخر وهو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة فهو مادلت عليه الآية الاولى من آيتي التخيير الآتيتين وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك. وانما أختار من الروايات الصريحة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا نصه:

عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله (ص) فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي (ص) جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن ماعدا ابا داود عن اسامة بن زيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ابوبكر) لأقولن شيئا أضحك النبي (ص) فقال يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها(١) فضحك رسول الله (ص) وقال «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبوبكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله (ص) ما ليس عنده؟ فقلن والله لانسأل رسول الله (ص) شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية (ياأيها النبي قل لازواجك - حتى بلغ - للمحسنات منكن أجراً عظيما) قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وماهو يارسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت أفيك أستشير يارسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لاتخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال «لاتسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسراً» ثم خيرهن كلهن فاخترن ماهو خير لهن - اخترن الله ورسوله والدار الاخرة وهذا نص آية التخيير:

(٣٣ : ٢٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا

خلاصة معنى الآيتين: قل لهن إن كنتن تردن من حياتكن الزوجية حظوظ الدنيا وشهواتها وزينتها فاتني لم أبت لذلك ولا تزوجتكن لذلك فتعالين أعطكن المتعة المالية التي شرعها الله للمطلقات وأسرحكن إلى أهليكن سراحا جميلا لاإهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته لعدم استطاعته أن

(١) بنت خارجة زوجته ووجأ عنقها لكزه بجمع يده أولواه إظهارا للانكار لا لاجل الايلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقين معها عيشة راضية مرضية لله ثم له ولها . وهو دليل على أنه (ص) لا يستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء هن من حياتهن النعيم والزينة. وان كنتن تردن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام باعباء الدين ، واصلاح أمور المؤمنات والمؤمنين ، وثواب الدار الاخرة ، تؤثرنه على نعمة الدنيا العاجلة ، فان الله قد أعد للمحسنات منكن في ذلك أجراً عظيما هو أعظم وأكبر مما أعده للمحسنات من سائر المؤمنات . وقد بين هذا في الايات التي بعد هذه . وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على افتراء اعداء الاسلام الذين يقولون ان هم محمد من حياته التمتع باللذات والشهوات ، وانه لذلك أكثر من الزوجات

٤٠

﴿ تأديب الله لازواج نبيه ﷺ وتعليمهن ما يراد منهن ﴾

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنه من ربه لا من عند نفسه ، ووصل الامر بمواعظ وحكم عرفهن بها منزلتهن وتفضيلهن على سائر النساء بجعلهن قدوة لهن في التقوى وحسن معاملة الازواج ، بما أتاحه لهن من معاشرة مصلح البشر الاعظم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما يتلقينه منه من آيات الله والحكمة ، وما يشاهدنه من معاملته وعلو أخلاقه من الاسوة الحسنة ، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهن على العمل الصالح مضاعفا ، وعقابهن على الاعمال الفاحشة مضاعفا ، على قاعدة الغرم والغنم ، وكون الذي يقتدى به في الخير له أجره ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والذي يقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه. وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف. ولو كانت سيرة أزواج الرسول «ص» فاسدة لفسدت سيرة سائر المؤمنات بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال ، قال الله عز وجل مخاطباً لهن :

(٣٣ : ٣٠ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣١) ومن يقنت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

الفاحشة المبينة هي الفعلة الظاهرة القبح كالكذب في مسألة العسل دون الهفوة واللمم مما قد يخفى قبحه على فاعله . والقنوت لزوم الطاعة مع الخضوع واذعان النفس، والعمل الصالح أعم منه . والتقوى اتقاء مخالفة الله ورسوله وكل ما تسوء عاقبته . والخضوع بالقول لين الكلام الاتوي الذي يطمع الرجل الخبيث الضعيف الايمان في المرأة لارتيابه في عفتها . والقول المعروف هو الحسن البريء من الريبة الذي لا ينكر نزاهة قائلته من يسمعه (وقرن في بيوتكن) أمر من القرار أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها لغير حاجة . والتبرج التبختر مع اظهار الزينة لجذب الابصار وهو من منكرات الجاهلية القديمة . والرجس الدنس المعنوي وهو كل ما يمس الدين أو الشرف . وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) تعليل لهذه الاوامر والنواهي كلها فان امتثالها ينافيه وتتم به الطهارة باكمل معانيها . وذكر الضمير (عنكم) ليشمل صاحب البيت صلوات الله وسلامه عليه فان شرف أزواجه شرف له فان علق باحداهن رجس أصابه ألمه وعاره - أعلى الله كرامته ونزه ساحته - وقد يشمل بعمومه سائر اهل بيته غير نسائه المقصودات بالذات، وتؤيده بعض الروايات . وآيات الله كتابه وبراهينه ، والحكمة المعارف المعقولة المرقية للعقول المزكية للنفوس ، الحاملة لها على معالي الامور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤١

(توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية ازواجه)

بالغ ازواج النبي (ص) في التضييق عليه بباعث الغيرة وجرأهن عليه حلمه الواسع ولطفه، واعتقادهن ان المساواة بينهن واجبة عليه، وتوهمهن ان منها المساواة في الحب، وفي امر الناس بان يهدي اليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهن. فكان من تربية الوحي لهن ما ذكرنا آنفا من تهديد زعيمتيهن عائشة وحفصة وإنذارهن الطلاق وإبدال ربه إياه خيرا منهن، ثم ما خاطبه به في الآية الخمسين من سورة الاحزاب من أنه احل له ازواجه اللائي تزوجهن بمهورهن وغيرهن من قريباته المهاجرات وما أفاء عليه من ملك اليمين ومن نهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر خاصا به، مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور، وتقييد الزواج بان لا يزيد على اربع نسوة في حال القدرة مع العدل والمساواة، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم، وكان بعض النساء يهبن انفسهن له (ص) وبعضهن يعرض عليه قريباتهن حتى نهاهن عن ذلك(*) ثم افتاه الله تعالى في الاية التي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة ازواجه كلهن بما يشاء ليعلمن ان مساواته بينهن فضل منه (ص) عليهن واحسان بهن لا واجب عليه من الله تعالى لهن لئلا يمدن إلى مثل ما كان منهن قال تعالى

(٣٣ : ٥١) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ

(*) روى البخاري وغيره عن ثابت قال كنت عند انس وعنده بنت له فقال جاءت امراة تعرض نفسها على رسول الله (ص) فقالت ألك بي حاجة؟ فقالت بنت انس ما اقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه! فقال هي خير منك رغبت في رسول الله (ص) فعرضت نفسها عليه، وروى البخاري وغيره ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي (ص) فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل. وروى ان ام حبيبة عرضت عليه اختها ليتزوجها فتشاركها في خيرها فاخبرها بعدم حلها له معها وقال «فلا تعرضوا علي بناتكن ولا اخواتكن»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا

رفع الله عن نبيه بهذه الآية ما فرضه على أمته من القسم والمساواة بين الازواج ، وأباح له ما يشاء من إرجاء نوبة بعضهن أي تأخيرها، وإيواء من شاء اليه متى شاء ، وعزل من شاء وابعادها، ولكنه ﷺ ظل على ما كان من مساواته بينهن بالعدل، فرضين منه لانه بمحض الفضل، ولم يتزوج عليهن أحداً ممن أبيح له في الآية التي قبلها ، ولو كانت رغبته في تعدد الازواج للاستمتاع بهن لفعل ولاختار حسان الابكار على الثيبات

ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة له كلمة شاذة لعلها أشذ ما صدر عنها من إدلال حب الزوجية وغرارة الحداثة : قالت له ما أرى إلا أن ربك يسارع في هواك (١) تعني بهواه رغبته وميله النفسي فقابل (ص) هذه الكلمة الجريئة النابية عن الادب بحلمه الواسع حتى علمت عائشة وغيرها أنه (ص) لم يكن له أدنى هوى نفسي في هذه التوسعة عليه فانه لم يعمل بها ، وانما كانت لاجل تربيتها هي وسائر أزواجه واقناعهن بكمال عدله فيهن وفضله عليهن فيما لم يوجبه ربه عليه

وكانت عائشة على حداثتها قوية الايمان والاجلال له (ص) ولكن الغيرة النسائية كانت تغلب على وجدانها — ولقد أقنعتها حفصة في سفر لهما مع النبي (ص) بأن تستبدل بعيرها ببعيرها ففعلت فرأته (ص) يكلم حفصة ظانا انها عائشة فاشتعلت نار غيرتها فلما نزلت وضعت رجليها في الاذخر (نبات عطر معروف) وصارت تدعو الله أن يرسل اليها حية او عقربا تلدغها وتقول : انه نبيك ولا أستطيع أن اقول له شيئا. رواه البخاري

روت معاذة عن عائشة قالت ان رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية (ترجي من تشاء منهن الخ فقلت لها ما كنت تقولين ؟ قالت كنت أقول له إن كان ذلك إلي فاني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً ٢» وفي رواية لم أوثر أحداً على نفسي . فأين هذا الجواب من انكارها عليه مد يده إلى زينب لصافحها في بيتها ومن تجسسها عليه إذ أبطأ في زيارته لها يوم شرب العسل عندها ؟

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (٢) رواه البخاري (يتبع)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العقيدة السلفية والاستاذ الدجوي

حديث فاطمة بنت أسد

(لم يجد الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي طريقة لخدمة الاسلام والمسلمين في مجلة الأزهر (نور الاسلام) إلا الطعن في العقيدة السلفية وأهل الحديث والطعن على متبعيها عامة وأهل نجد خاصة، وترويج البدع، وقد جاءتنا عدة رسائل في الرد عليه أيبنا نشر شيء منها، ولو اخترنا أمثلها حجة وأدبا لفضلنا منها ما كتبه الاستاذ العالم العامل الشيخ محمد بهجة البيطار الشهير إذ كنا اطلعنا على أوله فاستحسناه. وقد نشر أربع مقالات منه في مجلة الرابطة الاسلامية الدمشقية ثم عطلت هذه المجلة فأرسل الينا الخامسة فرأينا أن ننشرها ضنا بها أن تضيع وهذا نصها والعنوان من الاصل)

قال الاستاذ الدجوي [وقد توسل ﷺ بالانبياء السابقين بعد موتهم كما في الحديث الصحيح] ثم أورد حديث فاطمة بنت أسد، والشاهد منه [اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين] قال [اخرجه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح]

أقول قوله: في الحديث الصحيح وبسند صحيح. هو حكم غير مسلم ولا صحيح فان في سنده روح بن صلاح المصري، ضعفه ابن عدي. والحديث لم يرضه الشيخان ولذا لم يخرجاه في الصحيحين ولا سائر اصحاب الكتب الستة، ويعلم النقاد البصيرون بعلل الاحاديث أن كل ما لم يخرجه هؤلاء كلهم فلعلة قوية فيه، وعلل الحديث يعلمها الراسخون في علم السنة، ولست الآن في صدد التصحيح والتضعيف فأورد ما قاله أئمة هذا الشأن فيه

وعلى فرض صحته لا شاهد فيه، إذ هو توسل بحق النبيين صلوات الله عليهم وحقهم هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة، وما خصهم به من الخصائص والمزايا كاجتبائهم واصطفائهم، وما وعدهم به من النصر والتمكين والعز والتأييد، وقبول شفاعتهم إذا شفعوا بعد الاذن والرضاء فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته

ومثل حديث فاطمة ما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال « اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا » الحديث وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح فهو توسل الى الله بعمل المتوسل من دعائه والمشي الى الصلاة وبما وعد على ذلك ، فحق السائلين عليه الاجابة ، وحق الماشين الى المساجد الاثابة : قال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال (أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال (ان تنصروا الله ينصركم) وقال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل فجعله حقا لهم عليه سبحانه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء

وفي الصحيحين (واللفظ للبخاري) عن معاذ بن جبل (رض) قال قال النبي ﷺ «يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد ؟ قال الله ورسوله أعلم قال «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدري ماحقهم عليه ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال « أن لا يعذبهم »

وقد قدمنا عن الامام ابي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله قولهم يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والشهر الحرام ، لانه لا حق لغير الله عليه وانما الحق لله تعالى على خلقه

ويوافقهم في هذا جميع المتمسكين بهدي السلف وآثارهم ممن يقول كشيخ الاسلام ابن تيمية [اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك افعل بي كذا وكذا ، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء] وقد يظن بعض من لا نصيب له من التحقيق ـ وبعض الظن إثم ـ أن هؤلاء ينكرون حرمة الرسل وجاههم وكرامتهم على ربهم في حياتهم أو بعد وفاتهم ، مع أن ثبوت الجاه لهم وارد في القرآن . قال تعالى في حق موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيها) وقال في حق عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة)

قال شيخ الاسلام في كتاب التوسل فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والآخرون ، وصاحب الكوثر والحوض المورود الذي آنيته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلا من العسل، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين، ويتقدم هو اليها ، وهو صاحب اللواء ، آدم ومن دونه تحت لوائه وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل وهو إمام الانبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا ، ذو الجاه العظيم ﷺ وعلى آله .ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده احد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد احصاهم وعدهم عداً) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)الآية . والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له لما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اه

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاه الرسل الثابت لهم عند ربهم والذي لا يزايلهم ولا ينفك عنهم أبداً ، بل هو في مزيد عنده تعالى يرفعهم به أعلى الدرجات فكيف بسيد ولد آدم وروحي له الفداء ﷺ، وانما الخلاف في فهم المراد من التوسل بالجاه، أو الحرمة أو الحق، وهل جعله الله سبباً شرعيا في إجابة الدعوات فان كان المراد منه معنى يرجع الى أفعاله تعالى وصفاته ـ كاصطفائهم واجتبائهم وما وعدهم به تعالى من النصر والتمكين ورفع الدرجات في الحياة الدنيا وفي الآخرة فبه نقول ونحن متفقون

بيد ان ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصلاح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين اجابة سؤاله ، فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي . فمعنى ذلك اقض حاجتي لكون فلان صالحا ، فاي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ، واذا قلت بجاه فلان اغفر لي، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأي ملازمة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منفيا عنه لافي حياته ولا بعد مماته ، ولا هو محل نزاع ، ولكنه ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وانما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) فقول الاستاذ الدجوى في خاتمة مقاله الثاني : «على أن التوسل بالاعمال متفق عليه منا ومنهم فلماذا لانقول : ان من يتوسل بالانبياء والصالحين هو متوسل باعمالهم التي يحبها الله تعالى ، وقد وردبها حديث أصحاب الغار ، فيكون من محل الاتفاق ، ولاشك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث هم صالحون ، فيرجع الامر الى الاعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها ، كما قلنا في صدر المقالة » اه

أقول : قوله هذا غير مسلم على اطلاقه ، بل فيه نظر ظاهر ، فان المتفق عليه هو توسل كل عامل بعمله ، ويشهد له حديث أصحاب الغار الذي استدل به ، فهو حجة عليه لا له ، لأن كل واحد من أولئك النفر الثلاثة توسل بعمله الصالح الذي اخلص فيه لله تعالى ولم يتوسل بعمل غيره . والاصل في هذا قوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) فالقول بان الاعمال الصالحة تنفع العاملين وغير العاملين ، ومنفعتها وثمرتها تشمل الصالحين والطالحين والمؤمنين والفاسقين ، مما يجرىء على ترك العمل والزهد فيه ، والاكتفاء بالتوسل بدلا عنه ، ويجعل المتقين والفجار سواء في العاقبة والجزاء : الاولون ناجون بعملهم ، والآخرون بتوسلهم بعمل غيرهم . ولكن الله يقول (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) ويقول (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون)

لو كان التوسل بصلاح الصالحين وعمل العاملين يفيد المتوسلين لهان الامر علينا معشر المسلمين ، ولنالنا كل خير من ذلك ، إذ كان يمكننا ان نقول مثلا اللهم أزل ضعفنا وآمن خوفنا وانصرنا على عدونا بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لاعلاء كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً مبيناً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران ، مثل ما وهبت لهم ، نسألك اللهم أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نمنحنا ذلك كله بجهادهم وسعيهم وعلمهم وعملهم، إذ نحن لا جهاد لنا ولا سعي، ولا علم ولا عمل، وإنما نحن عالة على غيرنا يا أرحم الراحمين — أفترى انه تفيدنا هذه التوسلات بجاه أسلافنا وقوتهم وسعة سلطانهم واستبحار عمرانهم، ونحن قد تداعت علينا الامم فجعلتنا مغنا ونهباً مقسما؟

وهكذا شأن التوسل الديني الاخروي، من وفقه الله وألهمه رشده يتقي عقاب الآخرة بما شرعه الله لاتقائه من التوبة والايمان والاعمال الصالحة فرب الدارين واحد وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً، كما حققه الامام ابن القيم وأثرناه عنه في المقال المتقدم فجدد به عهداً (ومثله في كتابي العجب والغرور من احياء الغزالي) والاصل في ذلك قوله تعالى (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) فهو توسل الى الله تعالى بالايمان والاتباع ومثله قوله (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) فقد رتب الله عليه الاستجابة بقوله (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم) الآية. وفي معناها آيات أخرى

فانظر رحمك الله الى هذه الآيات الكريمة، والادعية الجليلة، كيف ارشدتنا الى التوسل الى الله عز وجل بما شرعه من الاخلاص في الدعاء له وحده، والايمان بما انزله من عنده، واتباع الرسول ﷺ على الوجه الذي جاء به من عند ربه، ثم تأمل كيف جعل ذلك سبباً لاستجابة الدعاء بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات والوقاية من النار، والنظم في سلك الابرار — وأين هذا التعليم الالهي والتوسل الشرعي، من المعامل التوسلية التي أنشأها المبتدعة لانفسهم ولغيرهم وهم يصدرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعاً منوعة ما انزل الله بها من سلطان (قل أأنتم اعلم ام الله) وهل كان دين الله ناقصاً فأكملتموه بهذه المبتدعات المحدثات؟

اختم بهذا مباحثي في موضوع التوسل وألوي عنان القلم عنه لأجيب عما هو اهم منه كمباحث الالوهية والصفات على طريقة السلف الصالح بما يوضح للمشتبهين أن مذهبهم هو الاسلم والاعلم والاحكم إن شاء الله تعالى

دمشق محمد بهجت البيطار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنباء العالم الإسلامي

﴿ الخطر على الاسلام بسيطرة الانكليز على الحجاز ﴾

(أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة) والمسلمون لاهون غافلون، وأعداء الاسلام دائبون مسرعون، يسخرون خونة المسلمين في فتح دار الاسلام، والقضاء على ملك الاسلام، ويشغلون أذكياءهم بظواهر الامور عن بواطنها، وبمحقراتها عن عظائمها، فالدولة البريطانية [أقوى اعداء الاسلام] تريد تأميس امبراطورية عربية بريطانية جديدة تحل محل الامبراطورية الهندية التي يعلمون قرب أجلها تمتد من مصر الى خليج فارس وتشمل جزيرة العرب كلها بشكل معين، وتقسيم مدبر، ينفذ في زمن مقدر، ومن مقاصده الاساسية القضاء على دين الاسلام نفسه من نواحيه السياسية والاجتماعية والعسكرية، بالسيطرة على الحجاز وقطع الطريق على منصب الخلافة الحق، ولو بالتوسل اليه بخلافة باطلة مدينة لها خاضعة لنفوذها

وقد بينا من قبل ان أعظم تمهيد بدأت به هذه الدولة الجشعة للقضاء على استقلال الاسلام والعرب هو استخدام شريفين شهيرين من شرفاء الحجاز لتمليكها أعظم مواقع الحجاز البحرية والبرية (أحدهما) صاحب الجلالة الهاشمية (الملك علي) الذي نصبه الحزب الوطني الحجازي ملكا على الحجاز عند ازماع والده صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الرحيل من مكة الى حيث تشاء الدولة الانكليزية ليقيمه باستيلاء ابن السعود على مكة (وثانيهما) صاحب السمو الهاشمي الامير عبدالله بن الحسين الذي استقدمه بعض اعضاء حزب الاستقلال العربي من الحجاز الى شرق الاردن عقب استيلاء الجنرال غورو الفرنسي على دمشق وإخراج جلالة الملك فيصل منها لاجل أن ينظم لهم وسائل الدفاع في منطقة شرق الاردن العربية الحرة لانها ليست من فلسطين التي قيدها الانكليز بالوطن القومي لليهود، وليست من منطقة النفوذ الفرنسي المخضر وكان من خدمته للعرب والعربية أن جعل شرق الاردن مقيدة بالانتداب البريطاني وخاضعة لنفوذ الانكليز العسكري مباشرة، وتشريد الحزب الذي استقدمه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما الخدمة التي اشترك فيها هو وأخوه الملك علي في التمهيد لامتلاك الانكليز الحجاز فهي اتفاقهما على جعل خليج العقبة الحجازي الذي هو من أعظم مواقع البحار الحربية في العالم والارض الممتدة منه الى معان أهم محطات سكة الحديد الحجازية في أرض الحجاز تابعة لامارة شرق الاردن ، وخاضعة للانتداب البريطاني السياسي ونفوذ جلالة ملك الانكليز العسكري

أصدر الملك علي الهاشمي وهو تحت حصر الجيش السعودي في جدة إرادته الهاشمية باقتطاع منطقة العقبة ـ معان من مملكة الحجاز وإلحاقها بامارة شرق الاردن التي وضعها اخوه تحت السيطرة البريطانية، فعدها هذا فتحاً مبيناً له وأمر باطلاق مائة مدفع ومدفع ابتهاجا بهذا الفتح ، لان سيطرة الانكليز على الحجاز بعضه أو كله احظى عندهما من سيطرة عبد العزيز بن السعود، وان كان دين الاسلام لا يبيح لأمثال الخلفاء الراشدين مثل هذا التصرف في أرض الحجاز ولا في غيرها من بلاد المسلمين بل صرح الامام الشافعي ولم يخالفه غيره بأنه لا يجوز لامام المسلمين الاعظم أن يأذن لغير المسلمين بالاقامة في ثغور الحجاز ولا في جزيرة من جزائره فكيف يبيح الاسلام لمثل علي بن حسين الذي لم تكن له سلطة شرعية على الحجاز ولا نفوذ فعلي فيما عدا مدينة جدة مثل هذه الهبة ؟ ومن عجائب افتتان هذه الشعوب الجاهلة بلقب «ملك» ان بعض السوريين يتمنون أن يكون «الملك علي» هذا ملكا لسورية وان بعض كتابها يتشرف بسؤاله عن سياستها وينقل أقواله السخيفة في الجرائد فتتناقلها !! ان هذه الهبة ليس لها قيمة شرعية ولا قانونية بيد ان قوة الدولة البريطانية وقى الله الاسلام والعرب شرها ، وأدال لمصر والسودان والهند منها ـ تكتفي بهذه الالفاظ لانشاب براثنها في مقتل أي أمة ضعيفة إذا لم تجد مستنداً قانونياً أقوى منها ، وقد حاولت هذا المستند فحيل بينه وبينها

ذلك بأنه لما تم لابن السعود الاستيلاء على الحجاز أرادت الدولة الانكليزية ان تحمله على إقرار إلحاق العقبة ومعان بشرق الاردن في المعاهدة التي عقدت في بحره لوضع الحدود بين مملكته وإمارة شرق الاردن فأبى الا ان تكون منطقة العقبة ومعان تابعة للحجاز كما كانت، وقد طالت المشادة والمحادة بين المندوب البريطاني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الجنرال كليتون) وبينه في ذلك وكادت تفشل المعاهدة فاقترح المندوب البريطاني بعد استئذان حكومته تأجيل البت في ذلك الى مفاوضة أخرى مدة سبع سنين لايحدث أحد الفريقين في ذلك حدثاً جديداً فقبل الاقتراح

لماذا اقترح الانكليز تأجيل هذه المسألة ؟ الجواب عن هذا السؤال يؤخذ من كلمة اشتهرت عنهم وصارت هجيراهم وهي قولهم « ان الوقت معنا - او لنا » وذلك انهم أصحاب روية وأناة، لا أصحاب بديهة وبادرة، وأصحاب حزم وثبات، لا اصحاب عجلة، وقد طفقوا يكيدون لابن السعود ويتخذون الوسائل لاخضاعه لهم بما فعلوا على حدود العراق ثم على حدود شرق الاردن من المعاقل والقوى العسكرية، وبما كان لهم من الدسائس والفتن في الثورة النجدية (ثورة فيصل الدويش) وبدسائسهم الخفية المضعفة لثروة المملكة وملكها وغير ذلك مما ليس لنا أن نخوض فيه الآن، حتى اذا ما اعتقدوا أن العسرة قد اشتد خناقها بضعف موسم الحج في هذا العام، ظنوا ان احداث فتنة جديدة في الحجاز أو ثورة في أطرافه لا تلبث أن يطير شررها الى اعرابه فمدنه وان يمتد لهيبها الى نجد، فتقضي على ملك هذا الزعيم العربي المسلم الشديد البأس قبل أن يوفق الى تنظيم قوته وتوطيد استقلاله

ما كادت ترتفع حرارة الصيف من هذا العام الا وقد ارتفعت حرارة الفتن والدسائس السياسية السرية، مقترنة بالحركات العسكرية الفعلية، فالانكليز يجمعون قواتهم الامبراطورية والعربية الهاشمية في امارة شرق الاردن على حدود الحجاز ونجد. والجيوش الانكليزية تنقل بالطيارات من مصر الى شرق الاردن، وبعض بوارج الاسطول البريطاني ترسو في خليج العقبة الحجازي الذي هو أهم وأمنع موقع بحري حربي في بلاد العرب وكذلك جلالة ملك الحجاز ونجد يجمع قواته أيضاً، ولماذا كل هذا وكل ذلك ؟

قيل ان سبب هذا وذاك ان ابن رفادة أحد شيوخ الاعراب (البدو) الحجازيين الذي كان فر من الحجاز بعد استيلاء ابن السعود عليه ولجأ الى مصر قد جمع شرذمة من البدو وزحف بها من شبه جزيرة سينا لاجل مهاجمة الحجاز وإخراج الدولة السعودية منها !!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد عنيت الانباء البرقية من لندن ومن شرق الاردن بالطعن في الحكومة السعودية وإضعاف أمرها وادعاء كراهة أهل الحجاز وكذا سائر المسلمين لها حتى أهل نجد ... وعظمت في مقابلة ذلك أمر ابن رفادة هذا وشأن قوته التي قيل انها تبلغ أربعمائة نسمة فارتقت بها بعض الانباء الى أن زادتها ألف رجل أو أكثر (!!) ثم عظمت أنباء أنصاره وأعوانه الذين يمدونه بالمال والمؤن والذخائر ومنها ان هذا المدد كله من مصر تحمله اليه سفن مخصوصة، وقد صرح بهذا بعض رجال الانكليز الرسميين، فانصرفت أذهان الناس الى الدولة المصرية نفسها، اذ لا يوجد في مصر من يمكنه ذلك غيرها، اذا كانت متفقة مع رجال الانكليز عليها،

نعم أن في مصر جمعية حجازية تكره الحكومة السعودية ولكنها جمعية فقيرة، وان في مصر بعض الشرفاء الذين يودون الادالة لاسرتهم من الملك عبدالعزيز آل سعود ولكنهم عاجزون عن مد هؤلاء الثائرين، فلا مال ولا رجال، ولا وسائل لنقل المال والرجال من مصر الى حدود الحجاز، ولو وجد كل ذلك لديهم لما اقدموا على هذا العمل الا اذا كانت الدولتان البريطانية والمصرية إحداهما أو كلتاهما تسخرهم لتنفيذ مقاصدها بما يعتقدون به ان هذه الثورة الحقيرة ستكون تمهيداً لقلب حكومة الحجاز ونزعها من يد ابن السعود

والمنقبون عن خفايا الدسائس في مصر يقولون ان بعض الشرفاء موعود بان يجعل اميرا على الحجاز بعد الحاقه بمصر، وان يجعل راتبه ثمانين الف جنيه في السنة، وان يجعل له حامية مصرية مؤلفة من ستة آلاف من الجيش المنظم

وجملة القول ان الانكليز ظنوا ان الفرصة الآن سانحة لايقاد نيران ثورة في الحجاز شر من ثورة نجد السابقة، اما ان تنتهي باخراج ابن السعود من الحجاز أو باضطراره الى الاعتراف لهم بالحاق العقبة ومعان بشرق الاردن، لأن الاوان قد آن لاحداث ما يريدون فيها من الاعمال التجارية والعسكرية لقرب وصول أنابيب زيت البترول من العراق الى البحر المتوسط ولكن ابن السعود قد شعر بالمراد، وجمع من القوات النجدية والحجازية مايفوق ماجمعه الانكليز استعدادا لدرء الفتنة

إن أقوال الجرائد الانكليزية الكبرى كالتيمس والديلي تلغراف في تكبير حركة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن رفاده الصغيرة وفي اراجيفها الكثيرة فيما تحكيه عن اهل الحجاز وعن سائر المسلمين من تمنيهم لزوال سلطة «الوهابيين» عن الحجاز بفسرها للمسلمين استعداد الانكليز العسكري على حدود الحجاز ونجد من العقبة الى آخر حدود شرق الاردن وتفسره اقوال الامير عبدالله الذي وضع هذه البلاد تحت سيطرتها العسكرية من تصريحه بعد عودة ابن السعود وسعيه طول حياته لاستعادة ملك الحجاز الى نفسه وتفسره اقوال مستر كلوب (ابوحنيك) الانكليزي وأعماله في تنظيم قوات شرق الاردن العربية والانكليزية الذي يعيد فيها سيرته الاولى بين نجد والعراق التي أعقبت ثورة الدويش، وهذه الاقوال نشرتها الجرائد كلها فحسبنا العبرة بها من ذكرها

وحاصل هذه الاقوال والافعال أن الانكليز يريدون نقض ماعاهدوا عليه ملك الحجاز ونجد من أنهم لا يحدثون حدثا في منطقة العقبة ومعان مدة سبع سنين أو يحملوه على مطاردة ابن رفادة فيها اذا لجأ اليها فيتهموه بنقضها ويعلنوا احتلالها للضرورة والافانهم يسخرون العرب للقضاء على ملك العرب، ويسخرون المسلمين لتمكينهم من هدم الاسلام واذلاله بوضع الحرمين الشريفين تحت نفوذهم وسلطانهم كشرق الاردن ومصر فان خليج العقبة من الحجاز كزقاق البوسفور من مدينة الاستانة أو أعظم وان الطريق منها الى العراق من جزيرة العرب وسورية والعراق كنياط القلب وهو الشريان الاعظم في الجسم كما بينا ذلك في المنار مرارا

كذب الانجليز في دعواهم أن المسلمين لايسوءهم اخراج ابن السعود من الحجاز فها هي ذي جميع الجرائد الاسلامية في مصر وغيرها تعلن سخطها على ابن رفادة الخائن، وتعد كل من يساعده خائناً لامته ودينه، وكل مسلمي مصر ساخطون على حكومتهم لعدم اعترافها بحكومة ابن السعود ولعدم ارسالها الى الحجاز حقوقه وحقوق أهله في أوقاف الحرمين في العهد السعودي مع اشتداد العسرة في هذا العام. كل هذا وأكثرهم لما يشعروا بمقاصد الانكليز في العقبة ومعان وشرق الاردن والعراق، وانهم يريدون تأليف امبراطورية عربية لا تقوم معها للعرب ولا للاسلام قائمة ولا تطمع بعدها مصر ولا جزيرة العرب باستقلال ديني ولا دنيوي فيجب على الصحف الاسلامية في مصر والهند وغيرهما من الاقطار أن ينبهوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالم الاسلامي لهذا الخطر الانكليزي على حرم الله وحرم رسوله وعلى الصحف العربية ان تذكر امتها بان كل جهادها في سبيل الاستقلال يكون عبثا اذا تم للانكليز ما يريدون من الحجاز وقد صار من المعلوم بالضرورة أنه لا سبيل لحفظ الحرمين الشريفين من نفوذ الاجانب الا الحكومة السعودية التي حفظت فيه الامن على أهله وعلى الحاج كما كان في صدر الاسلام

إلا أن الامة العربية لا تزال غافلة متخاذلة بفساد بعض امرائها وكبرائها واستعباد الطامعين لهم وانما الرجاء الاكبر في ايقاظ مسلمي الهند لهذا الخطر فيجب عليهم السعي لدرئه أو الاتحاد مع الهندوس للقضاء على هذه الدولة المتجبرة المتكبرة قبل أن تستولي على مهد دينهم وسنفرد لهذا مقالا خاصا نوجهه اليهم

وفيات الاعيان

﴿ الامير سيف الاسلام محمد أمير لواء الحديدة وملحقاتها ﴾

في منتصف شهر ذي الحجة الحرام ختامة سنة ١٣٥٠ رزئت المملكة اليمانية، والامة العربية بوفاة هذا الامير الجليل ، والسيد النبيل ، النجل الثاني من أنجال جلالة (أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين، الامام يحيى بن حميد الدين)

توفي شهيد الشهامة الهاشمية ، والنجدة العربية ، غريقاً في سبيل إنقاذ غرقى من أتباعه في ساحل الحديدة، فنبضت أسلاك البرق بنعيه لمصر وغيرها من الاقطار، فاضطربت لها القرى والامصار ، وأكبرت الخطب صحف الاخبار على اختلاف سياستها وأحزابها، ونوهت بمناقب الفقيد الشهيد التي كانت خاتمتها هذه النجدة التي بذل روحه الكريمة فيها، وتواترت التعازي البرقية والبريدية على جلالة والده العظيم من جميع الارجاء وكان أحسن الله عزاءه وأطال بقاءه يجيب كل معز بما يليق به من الطريق الذي جاءت به تعزيته . واننا نسجل في المنار ما كان من صفة شهادته، والمهم من ترجمته، ملخصاً من جريدة (الايمان) الغراء الشهرية التي تصدر في صنعاء عاصمة اليمن ثم ننشر تعزيتنا لجلالة والده الامام ورده الكريم :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ صفة استشهاده من رسالة مكاتب الجريدة في الحديدة قال: ﴾

خرج رحمه الله في يوم الخميس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ في جمع من خاصته الى مكان من شاطيء البحر الاحمر يبعد عن ميناء الحديدة بنصف ساعة بالسيارة تقريباً، وكانت الخيام قد نصبت فاستراحوا قليلا ونزلوا يستحمون في البحر. وكان رحمه الله يجيد السباحة فمكثوا مدة ثم خرجوا بعدها الى الخيام يتجاذبون أطراف الحديث ويتذاكرون، وجلس سمو الامير يحدث الجميع - بتلك البساطة، وذلك التواضع الذي هو خير من عرف به - عن المشاريع التي يعدها لاسعاد اليمن والحديدة خصوصاً، وعن عظيم آماله في أن يرى اليمن وسائر الاقطار العربية تخطو الخطوات الواسعة الى الامام في القريب العاجل، وجلسوا طول تلك الليلة وسموه يحادثهم بعذب حديثه إلى مابعد منتصف الليل حيث قام الجميع الى النوم فنام وقام بعد ساعة يحدث الجميع عن رؤياه التي رآها وهي [انه خرج من جميع ماله وتصدق بالباقي على الفقراء وسافر لأداء فريضة الحج وهو باك] فجعل كل يفسر تلك الرؤيا تفسيراً تطمئن له القلوب، ثم تناولوا طعام الافطار بعد أداء فريضة الصلاة وجلسوا يتحدثون الى قريب الظهر، فأظهر سموه رحمه الله الرغبة في الاستحمام ودفع الجميع إلى البحر ولكن سرعان ما اشتدت الريح وقوي المد، وصار كل يجاهد ويغالب الموت الذي كان ينشر رايته المشئومة

وعند ذلك تتجلى شجاعة ذلك الامير العظيم فيندفع بنفسه يغالب الامواج الثائرة والأمواج المتلاطمة مسرعاً لينقذ من كان في خطر، أنقذ الاول ورجع للثاني والثالث ثم ما رجع للرابع يريد إنقاذه إلا وتعلق به وفي تلك اللحظة حم القضاء ونفذت إرادة العظيم القادر فهبط إلى قاع البحر وذهب سموه الى رحمة ربه شهيد المروءة والانقاذ شهيد الشهامة والشجاعة — وما علمت تلك الامواج الثائرة التي اختطفته انها اختطفت آمال امة جزعت وذهلت لهول المصاب الذي عقد الالسن منها

عصم الله تلك القلوب الدامية بجميل الصبر أما ذكراه الطيبة الطاهرة فخالدة الى الابد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مولده ونشأته

«ولد رحمه الله ورضي عنه في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف بمقام جده مولانا الامام المنصور بالله رب العالمين أبي يحيى محمد بن حميد الدين رضوان الله عليه ونشأ في حجر والده إمام الزمن أمير المؤمنين أيده الله وأمد مدته

مغارس طالت في ربى المجد والتقت على أنبيـاء الله والخلفـاء

وعلى هذا يكون عمره الشريف عند وفاته أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً.

ونشأ بمحروس قفلة عذر وهنالك كرع من بحر الفضائل، وجثى بين أيدي العلماء الفطاحل، فاشترى نفيس الفوائد بنوم أجفانه، حتى تفرد بعرفانه، وكان المجلى على أقرانه في تحصيل العلوم، والتحلي بمنطوقها والمفهوم. وله مشايخ كثيرون في جميع العلوم والفنون ـ منهم في مبادىء الطلب الفقيه لطف بن سعد السمين والسيد الفاضل محمد بن عبد الله المقدمي الاهنومي والقاضي يحيى بن محمد الغشم الآنسي والفقيه المحقق احمد بن قاسم الشمط الاهنومي

وعند أن قوي ساعده في الادراك رشف من معين القاضي العلامة عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي. والقاضي المحدث اسحاق بن عبد الله المجاهد الصنعاني والسيد العلامة حسين بن محمد أبو طالب والمولى العلامة شيخ الاسلام علي بن علي اليماني. والسيد العلامة المحقق عباس بن احمد بن ابراهيم الحسني وغيرهم كثير

وقد أجازه كثير من أعلام العلماء الذين تشد اليهم الرحال، وتضرب بعلو درجاتهم الامثال، في المعقول والمنقول، فمن أجازه إجازة عامة والده جلالة مولانا أمير المؤمنين أيده الله ومتع الاسلام والمسلمين بمضاعفة أيامه

وأجازه المولى العلامة الحجة شرف الاسلام القاضي الحسين بن علي العمري حفظه الله والمولى العلامة سيف الاسلام احمد بن قاسم حميد الدين والمولى العلامة رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن علي الديلمي والسيد العلامة الحافظ احمد ابن عبد الله الكبسي والمولى شيخ الاسلام علي بن علي اليماني. والاستاذ العلامة خليل أسعد افندي رئيس محكمة التدقيق الحنفية. والسيد الحافظ أحمد بن محمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القاري المغربي الحسني. والاستاذ الشهير محمد حبيب الله الشنقيطي المغربي نزيل القاهرة وسواهم كثير وجم غفير. اه وللفقيد شعر كثير ذكر منه المترجم هذين البيتين

وما هذه الدنيا سوى كسب مغنم لأجر جزيل أو لذكر مجمل
فمن جاد منها لم يكن خاسرا بها ولا ناقصاً والفضل للمتقبل

(المنار) كان ينبغي لكاتب الترجمة أن يذكر ما تولاه الفقيد من الاعمال وسيرته فيها، وسفره إلى ايطالية وما استفاده منه، وما كان له من الآمال في خدمة أمته ووطنه التي أشرنا اليها في تعزية والده.

﴿ تعزيتنا لجلالة الامام المهام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين. سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين

أما بعد فان مصابكم بنجلكم الكريم المهام، الامير محمد سيف الاسلام، هو مصاب لنا وللامة العربية والملة الاسلامية: هو مصاب لنا لاننا منكم نشعر بشعوركم، ونألم لالمكم، كما نسر بكل نعمة يسبغها الله عليكم - وهو مصاب للامة العربية لان نجلكم أمير من أعظم أمرائها، وزعيم من خير زعمائها، كانت ترجو أن يكون من أرسخ دعائم نهضتها، بعلو همته، وزكاء قريحته، وحسن تربيته، وسعة علمه وخبرته: في شرف أرومته، وكرم منبته، وقد ظهرت لها بوادر أعماله الاصلاحية، من إدارية وعسكرية، وشهد لها سبب شهادته بكبر شهامته، وإيثاره ونجدته - وهو مصاب الملة الاسلامية بما كان سيفاً من سيوفها المسلولة، وربانا من ربابنة سفينة نجاتها المأمولة - فهذا ما بلغنا من نعوته وشمائله، وماروي لنا عن آرائه وآماله، المستنبطة من أقواله وأعماله

فأجدر باولي الشعور من شعوب أمته، وبمحبي الاتفاق من أهل المذاهب المختلفة في ملته، أن يعدوا شهادته مصيبة عامة، وكارثة طامة، تملأ القلوب حزنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخشوعا ، وتفيض لها العيون دموعا ، وتردد الالسن فيها حوقلة واسترجاعا

وأما أنت أيها الامام العظيم، والأب الرؤف الرحيم ، فلئن كنت أجدر بحزن القلب وفيض الدمع ، بمقتضى سلامة الطبع وهدي الشرع ، فلأنت أحق بالصبر الجميل ، وأحرص على صلوات الله ورحمته للصابرين المسترجعين ، بما أوتيت من قوة الايمان ، وثبات الجنان ، وسعة العرفان ، وقيامك في محراب الامامة في الدين ، والاسوة الحسنة في جدك محمد رسول الله وخاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ؟

﴿ جواب جلالة الامام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة والمرشد الفاضل الفهامة ، الشريف محمد رشيد آل رضا صاحب المنار ، حرس الله مهجته ، وأطال في الرشاد مدته ، والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته ، أيها السيد الفاضل ما أوفى كتابكم الكريم باداء سنة الدين ، وأشفاه بيانا لحسن العزاء بمن مضى شهيداً ولحق بسلفه الصالحين، وأراع بالفراق قبل الامتاع ، ولبى نداء ربه ممتطياً صهوة الاسراع ، فلئن كان المصاب بوفاته عظيما ، والرزء بمفاجأة يومه جسيما ، قد بلغ النهاية من مرارة النكاية، واضرام حرارة الاحزان ، واثارة عواصف الاشجان ، فما في كتابكم الكريم من تحلية الفقيد رحمه الله بنعوت المادح ، والتوصية بالصبر الجميل في المصاب الفادح، والتسلية بذلك الاسلوب المرغوب من القول الشارح ، قد بلغ الغاية في الافادة ، وحسن البيان والاجادة ، فشكراً لكم على تلك اليد البيضاء المجلوة في الكتاب ، وامتنانا يزف اليكم مقرونا بثناء مستطاب ، والله سبحانه يجبر المصاب بما نرجوه من وفور الاجر، والاعانة على دوام الاعتصام بالصبر ، والتحلي بالرضا والتسليم لحكم الرب الحكيم، واسبال شآبيب الرحمة والرضوان على الفقيد الشهيد، والاستعداد ليوم المعاد، وبلوغ المراد من حسن الختام، والدعا مستمد وشريف السلام. في ١٨ المحرم سنة ٥١